

**Intimation verses - A study regarding textual cohesion
Elements**

م . د إيناس نعمان مهدي

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة القرآن الكريم في ضوء دراسات علم لغة النص وأدواته ومناهجه ، ومحاولة توظيفها لاستنطاق النص القرآني والوقوف على خصائص الخطاب فيه ، وإبراز سر الإعجاز في أسلوبه ، ، فاستقر الرأي على (عناصر السبك النصي) بتسليط الضوء عليها في مجموعة آيات التبليغ لتكون مجالاً تطبيقياً لتلك العناصر ، نظراً لما تميزت به هذه الآيات من بعد حجاجي في مجال التوحيد، والمعاد، والنبوة ، والخلافة ، فكان عنوان البحث (آيات التبليغ دراسة في ضوء عناصر السبك النصي)، وقد تضمنت هذه الدراسة : عناصر السبك النحوي: وتشمل الإحالة ، والحذف ، والعطف ، والشرط ، ثم عناصر السبك المعجمي : وتشمل التكرار، والمصاحبات المعجمية .

الكلمات المفتاحية : السبك ، آيات التبليغ ، عناصر السبك النصي ، السبك المعجمي ، السبك النحوي

Abstract

The Research aims at studying Holy Quran according the linguistic studies of text , its tools and syllabi ; it attempts to use those elements to simulate that text to know its speech properties ;and also to explain the secret behind the Quranic miracles . Thus the researdur decided to state the elements of textual Cohesion in intimation Verses as an applied aspect for these element .

This study enclues the elements of grammatcalcohecion such as prouonreference ,deletion ,coordination and condition .Then come the elements of lexical cohesion like duplication and collocation.

Key word: Intimation-Intimation verses- cohesion Elements- elements of grammatcalcohecion-elements of lexical cohesion

مدخل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد الخلق اجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين وبعد ،

فقد شغل العرب بالنص القرآني الكريم على مر العصور، فكان أبلغ كتاب ينطق بالحق ، والمعجزة اللغوية الكبرى والمثل الأعلى ، لذا كان حقاً على دارسي اللغة أن يتخذوه دليلاً لدراساتهم وأساساً يهتدون بمجديه فانكبوا عليه دراسة وترجيحاً، وأخذوا يكشفون الحجاب عن أسراره التعبيرية ويظهرون مواطن الفن اللغوي المعجز في صياغة ألفاظه وجوده معانيه وسبك عباراته، مستعينين على ذلك بكل ما أوتوا من علوم ، ومن هنا جاءت محاولات النظر إلى القرآن الكريم في ضوء دراسات علم لغة النص وأدواته ومناهجه ، ومحاوله توظيفها لاستنطاق النص والوقوف على خصائص الخطاب فيه التي عملت على إبراز ما في القرآن من وجوه الجمال وبينت سر الإعجاز في اسلوبه ، لذا حاولت في دراستي هذه الوقوف على مواطن من مواطن الحسن والجمال الاسلوبي التي تميّز هذا الكتاب المعجز ، فاستقر الرأي على (عناصر السبك النصي) بتسليط الضوء عليها في مجموعة آيات التبليغ لتكون مجالاً تطبيقياً لتلك العناصر، نظراً لما تميزت به هذه الآيات من بعد حجاجي في مجال التوحيد، والمعاد، والنبوة، والخلافة، وتجدد الإشارة إلى أن المقصود بآيات التبليغ: الآيات التي تتضمن الفعل (بَلَّغَ) و(أَبْلَغَ) ومشتقاتها، وقد بلغت آيات التبليغ في القرآن الكريم (٢٥) آية، موزعة بين (١٦) سورة، (١٠) منها مكية والباقي مدنية، وربما ينسجم هذا مع طبيعة الدعوة الإسلامية في بدايتها إذ كانت تعاني من قلة الأنصار، فكانت مهمة الرسول (ص) تبليغ الناس بأهداف الدعوة وأركانها إتماماً للحجة وقطعاً للعذر، وقد جاءت مفردات التبليغ في القرآن الكريم أفعالاً وأسماء وهي موزعة على وفق البيان المستخرج من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم^(١) : إذ ورد الفعل (بَلَّغَ) الدال على التبليغ في آية واحدة، و(الإبلاغ) ورد في أربع آيات بصيغتين (أبْلَغْتُمْ ، أبلغوا) ، و(التبليغ) : ورد في (٥) آيات بصيغ مختلفة (أبْلَغْتُمْ ، يَبْلَغُونَ ، بَلَّغَ ، بَلَّغْتَ) و(البلاغ) ورد في (١٥) آية، والمتأمل للآيات يجد ما يأتي : ١- في الآيات شمول دعوة القرآن الكريم لكل من بلغه إلى يوم القيامة في قوله تعالى : { فَلَا يُشْئِيْكُمْ شَهَادَةُ فَلَانَ لَلْهِشْهَيْدِ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْبَلَعًا لِّتُنَكِّمْتُمْ بِهِ هَذَا وَإِنَّمَا تَلْمِزُوهَا لَهَا لَيْفَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْقُرْآنَ لِتَشْكُرُوا } (أنعام ١٩) تشير الآية المباركة إلى هدف نزول القرآن على لسان النبي (ص) (لأنذركم به ومن بلغ) بمعنى : ((أن القرآن قد نزل عليّ لكي أنذركم، وأنذر جميع

الذين يصل إليهم . عبر تاريخ البشر، وعلى إمتداد الزمان وفي أرجاء العالم كافة ، وأحذرهم من عواقب عصيانهم. ٠٠٠. ولا يمكن أن نتصور في الواقع عبارة أوجز وأشمل لبيان المقصود من هذه العبارة، وما فيها من دقة وسعة يزيل كل إبهام في عدم اختصاص دعوة القرآن

(١)ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ١٨٧- ١٨٨ (مادة بلغ بالعرب أو بزمان أو مكان معينين.))^(١)

٢- تضمنت آيات التبليغ قصص دعوة الأنبياء لأقوامهم وهم (نوح، وهود، وشعيب، وصالح) للتوحيد والإيمان بالمعاد ومحاججتهم، فضلاً عن آية الخلافة التي نزلت في حجة الوداع وهي آخر ما نزل من القرآن على أشهر الأقوال عند الفريقين، التي نزلت في شأن إمامة الإمام علي (ع)^(٢)، في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } المائدة ٦٧

٣- بينت آيات التبليغ مهمة الرسول (ص) وهي تبليغ تعاليم القرآن وأهدافه كاللغو والهداية وهو رأس الدين وجوهره وشريان تعاليمه وكذلك المعاد؛ إتماماً للحجة وقطعاً للعدر ، وقد ورد ذلك (١١) مرة ، حُصرت فيها مهمة الرسول (ص) بالتبليغ، منها قوله تعالى : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النور ٥ ، فالرسول (ص) لا دخل له بالوحي فهو مخاطب لا متكلم ، حاك ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه^(٣)

وعند تتبع مشتقات (مادة بلغ) الدالة على التبليغ بين الاستعمال اللغوي والقرآني نجد أن البلاغ والإبلاغ والتبليغ وما يشتق منها بمعنى واحد وهو إيصال الخبر^(٤)، ولا فرق بينها إلا بالتشدد والتدرج وبحسب سياقات ورود كل لفظ وما يقترن به من ألفاظ.^(٥)

وبعد هذا العرض الموجز لمضامين آيات التبليغ—بوصفه ضرورة منهجية—لا بد من تعريف موجز للسبك النصي ، إذ يعرف السبك بأنه : ((خاصية دلالية للخطاب ، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الحمل الأخرى))^(٦)، وتقوم عناصر السبك بوظيفة إبراز ترابط العلاقات بين العناصر المكونة للنص^(٧)، وتتكفل المباحث القادمة بدراسة عناصر السبك النصي في آيات التبليغ ، و تشمل : عناصر السبك النحوي: وهي الإحالة ، والحذف ، والعطف ، والشرط ، ثم عناصر السبك المعجمي : وتشمل التكرار، والمصاحبات المعجمية .

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٣٦/٤

(٢) ظ: مجمع البيان: ١٥٠/٢

(٣) ظ مباحث في علوم القرآن: ٣٠

(٤) ظ: تكملة اللغة: ١٤٠/٨، والصحاح: ١٣١٦/٤، ومفردات ألفاظ القرآن: ١٤٤، البحر المحيط: ٢٧/٤

(٥) ظ: المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته: ٦٦٥/٦

(٦) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٤٤

(٧) ظ: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٣

المبحث الأول: عناصر السبك النحوي في آيات التبليغ:

أولاً: الإحالة: تعرف الإحالة بأنها : ((العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر علاقة أو عنصر التعلق، وضمائر يطلق عليها صيغ الإحالة، وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه))^(١)، وبهذا تقوم الإحالة على عنصرين أساسيين: العنصر الإحالي الذي يحيل على عنصر آخر مفسر له، وعنصر إشاري وهو العنصر المحال عليه سواء أكان في داخل النص أو في خارج النص، وبهذا تعود بعض عناصر الملفوظ على عناصر أخرى مقدرة في داخل النص أو في المقام^(٢)، وتشتمل الإحالة في آيات التبليغ على العناصر الآتية :

١- الإحالة بالضمير: تعد الضمائر من أبرز عناصر السبك النصي؛ فهي تنوب عن الأسماء والجمل، فيحل ضمير محل الأسماء، والجمل فيربط بين أجزاء النص، والضمائر لا تخلو من إبهام أو غموض لذا لا بد من شيء يزيل إبهامها^(٣)، وتقسم الضمائر في العربية على أقسام هي: (المتصلة، والمنفصلة، والمستتر)^(٤)، وقد كانت الضمائر بأنواعها من أكثر العناصر الإحالية وأهمها في السبك النصي في آيات التبليغ، وتوزعت بين (١٢٥) ضميراً متصلاً، و(٥) ضمائر منفصلة، و(٣٤) ضميراً مستتراً تنوعت الإحالات فيها بين إحالة مقالية ومقامية، وقبلية، وبعديّة، بحسب سياقات ورودها، ومن الإحالة بالضمير في آيات التبليغ قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} {النور: ٥٤}، فالضمير المستتر في (قل) عائد إلى الرسول (ص) لا محالة ذلك

بأن كل كلام ينزل من القرآن موجه إليه لأنه المبلّغ، والإحالة هنا مقامية بإحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر غير لغوي إشاري موجود في المقام الخارجي وهو الرسول (ص) إذ اختفى اسمه من بيئة النص الظاهرة، وقد استحوذ على معظم الإحالات في الآية المباركة، وتمت الإشارة إليه بالضمير المستتر في (قل)، وبالضمير المتصل في (عليه)، والضمير المتصل في (تطيعوه) بقرينة تكرار ذكر لفظ (الرسول) من دون التصريح باسمه، وإما ضمير الجمع في قوله: (أَطِيعُوا، وَتَوَلَّوْا) فعائد إلى المنافقين وغيرهم من الكفار وكل من يتبعني عن أمر محمد (ص) فما ذكر بعده (فإن تولوا) هو من أحوالهم^(٥)، فالإحالة مقامية على مرجع غير مذكور يفهم من السياق اللغوي للآيات الكريمة، وفي مرجع الضمائر في قوله تعالى عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ { احتمالان: (٦)

(١) أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه: ٢٤٨

(٢) ظ: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ١١٦، وثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت (بحث) ع ٣٠/م/٣٠: ٥٧١

(٣) ظ: نسيج النص: ١١٨

(٤) ظ: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٦٢/١

(٥) ظ: المخرر الوجيز: ٨٧/٥

(٦) ظ: مخرر الوجيز: ٨٧/٥، وظ: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٦/٧، التحرير والتنوير: ٢٠/١٠

الأول: يكون الضميران في قوله تعالى: { عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ } عائدين إلى الرسول (ص) إن قلنا بجواز أن يكون { فإن تولوا } تفریعاً على الفعل { أطيعوا } فيكون الفعل { تولوا } من جملة ما أمر النبي (ص) بأن يبلغه لهم ويكون فعلاً مضارعاً بتاء الخطاب، وأصله: تَتَوَلَّوْا بتاءين حذفتهما تاء الخطاب للتخفيف وهو حذف كثير في الاستعمال. والكلام تبليغ عن الله تعالى إليهم، الثاني: يكون في ضمائر { فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم } التفات، وأصل الكلام: فإنما عليك ما حُمِّلَ وعليهم ما حُمِّلُوا؛ وذلك إن قلنا بجواز أن يكون (تولوا) تفریعاً على الفعل { قل } بمعنى فإذا قلت ذلك فَتَوَلَّوْا ولم يطيعوا، فيكون الفعل { تولوا } ماضياً بتاء واحدة مُوَجَّهًا به النبي (ص) والمعنى: فإن تولوا ولم يطيعوا فإنما عليك ما حُمِّلَ من التبليغ وعليهم ما حُمِّلُوا من تَبِعَةِ التكليف كمعنى قوله تعالى: { فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين } في سورة النحل ٨٢، وبهذين الوجهين تكون الآية مفيدة معينين: معنى من تعلق خطاب الله تعالى بهم وهو تعريض بتهديد ووعيد، ومعنى من موعظة النبي (ص) إِيَّاهم، وفي الحالتين وباختلاف مرجع الضمائر فالمعنى أفاد التبكيت لهم ليعلموا أنهم لا يضررون بتوليهم إلا أنفسهم.

والبحث يرجح الرأي الاول ؛ ذلك بأننا ((لو جعلنا { تولوا } فعلاً ماضياً وقدرنا في الكلام خروجاً من خطاب الحاضر إلى ذكر الغائب لاقتضى الكلام أن يكون بعد ذلك وعليهم ما حملوا ، والذي حمل رسول الله (ص) هو التبليغ ومكافحة الناس بالرسالة وإعمال الجهد في إنذارهم ، والذي حمل الناس هو السمع والطاعة واتباع الحق))^(١)، ذلك بأن الفعل (تولوا)، للمخاطبين، لأنه قال " وعليكم ما حملتم " ولو كان لغير المخاطبين، لقال (وعليهم)^(٢)، وقوله (و إن تطيعوه) أي و إن تطيعوا الرسول، فالضمير عائد على مرجع متقدم ذكره في النص -لفظ الرسول (ص)- والإحالة قبلية ، وقوله (تهتدوا) :مرجع الضمير فيه عائد إلى المنافقين .

ومن الإحالة بالضمير في آيات التبليغ قوله تعالى :
{ فَإِن حَاجُّوكُمْ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ وَإِن تَبِعُوا فَمِنَّا فَمَن لَّيْتَأْتُوا الْكِتَابَ بِالْأَمِينِ أَسَلِّمُوا فَمَا نَسَلِّمُوا فَذَلِكُمْ هُوَ الَّذِي كَانُوا يَكْفُرُونَ }
لأعوالم الضمير بالعباد {ال عمران ٢٠}، والملاحظ أن الآية الكريمة تزخر بالإحالات الضميرية وهي على النحو الآتي :أ- (الضمير المتصل في حاجوك) وهو ضمير جمع أحال على مرجع غير مذكور في الكلام (المبليغين)، بل معلوم من المقام (نزول السورة)، وهم وفد نجران- وهو مكون خارجي غير نصي-؛ فإنهم الذين اهتموا بالحاجة حينئذ، فأما المشركون فقد تباعد ما بينهم وبين النبي (ص) بعد الهجرة ، فانقطعت حاجتهم ، وأما اليهود فقد تظاهروا بمسألة المسلمين في المدينة .^(٣) ب- الضمائر (الضمير المتصل الكاف في حاجوك، والضمير المستتر في قل، و، الضمير المتصل أسلمت، والضمير المتصل فيوجهي، والضمير المتصل المحذوف في أتبعن، والضمير المتصل في عليك) أحالت على الرسول (ص) (المبليغ)، وبلحاظ

(١) ظ: المخر الوجيز: ٨٧/٥، وظ: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٧/٧ التحرير والتنوير: ٢٠/١٠

(٢) ظ: التحرير والتنوير: ٢٠/١٠ وما بعدها

(٣) ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٧/٧

إتفاق مرجع الإحالة وهو الرسول (ص) يتبين للقارئ جلياً التأثير المتبادل فيما بين الضمائر في سبك النص وترابط أجزاء الخطاب فمرجع الإحالة غير مذكور في النص ، يفهم من من سياق المقام ، وتعد مسألة توجيه الخطاب نحو سياق المقام من أهم العناصر المرجعية الضميرية وهذا الأمر يعكس ثمة التفاعل بين النص وسياقاته المكونة له التي تكون محوراً للتفصيلات التي ترسم دقائق المعنى^(١)

٢- الإحالة بالموصول

تعد الموصولات من الضمائر المبهمة التي تحتاج إلى ما يفسرها فهي لا تملك دلالة مستقلة بل تعود إلى عنصر مذكور في أجزاء النص وكأنها تعويض عما تحيل إليه ^(١)، ولا يمكن عدّها من الكلام المفهوم إلا بحضور صلته بعدها ، ^(٢) وتؤدي الموصولات وظيفة السبك للنص ؛ فهي تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض وترتبط النص بسياقه المقامي الذي قيل فيه ^(٣)؛ إذ تشد من أزر التلاحم النحوي بين ماتقدم ذكره والعلم به ، وما يراد من المتكلم أن يعلم به أو يضمه إلى ماسبق من العلم به ^(٤)، والإحالة بالموصول تفيد اغراضاً مختلفة منها : (الوصف ، والمدح ، والتعظيم ، والتهويل ، والتهكم ، والابحاز) ^(٥)، وتقسم الموصولات بحسب علم نحو الجملة على : (الموصولات الخاصة أو الحرفية

وتشمل الذي وفروعها)، و(الموصولات العامة أي الحرفية وتشمل من وما) ^(٦) ، وقد وردت الإحالة بالموصول (من) في موضعين من آيات التبليغ على مرجع غير مذكور يفهم من سياق النص ^(٧)، ومنه قوله تعالى :

{قُلْ أَشْهَدُ قُلُوبَنَا لِلَّهِ شَهِيدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ بَيْنَكُمْ وَأَوْحِيَ إِلَيْهِدَ الْقُرْآنُ أَنْذَرَكُمْ بِهِ وَمَنْبَغًا تَنْكُمُ لَشَهِدُونَ وَأَنْتُمْ لِلَّهِ أَخْرَبُونَ} ^(٨) ، والمعنى : لأنذركم بالقرآن أيها المشركون وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم ف(من) في موضع نصب بوقوع (أنذر عليه) (وبلغ) في صلته وأسقطتاهاء العائدة على (من) في قوله (بلغ) لاستعمال العرب ذلك في صلوات (من، ما، الذي) ^(٩) والمعنى : لأنذركم وأنذر من بلغه القرآن ففي (بلغ) ضمير محذوف لأنه في صلة (من) ، بمعنى :

(١) ظ: العناصر المرجعية الضميرية في سورة الكهف دراسة نصية تطبيقية : بحث : ٥٤٤

(٢) ط: في اللسانيات ونحو النص: ٢٣٠

(٣) ظ: معاني النحو: ١١٢/١

(٤) ظ: مقالات في اللغة والادب : ٢٠٠/١

(٥) ط: في اللسانيات ونحو النص : ٢٣٠

(٦) ظ: الايضاح : ١١٥-١١٧

(٧) ظ: الاحالة في نحو النص : ٢٦

(٨) آل عمران / ٢٠ و الانعام : ١٩

(٩) ظ: الكشف : ١٠/٢

لأنذركم به يا أهل مكة وسائر الثقليين ، أو لأنذركم به أيها الموجودين ومن بلغه إلى يوم القيامة ، وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وإنه لا يؤخذ بها من لم تبلغه ^(١) ، ويجوز أن يكون (من) عطفاً على الفاعل المستتر في انذركم للفصل بالمفعول أي : لأنذركم أنا بالقرآن وينذركم من بلغه القرآن أيضاً ، والراجع أن الآية خطاب لمشركي مكة أو لقريش أو للعرب عامة الذين شافهم النبي (ص) بالدعوة ، خطابها يدل على عمومها لكل من سمع القرآن من الرسول (ص) أو سمعه من غيره إلى يوم القيامة فهو حجة الله ينطق بالحق على أهل الدنيا من لدن نزوله إلى يوم القيامة ^(٢) ، وبهذا أحال الموصول (من) على مكون خارجي غير موجود في النص وهو عامة المسلمين أو من سمع القرآن من الرسول (ص) أو لم يسمعه وسمعه من غيره إلى يوم القيامة فأفاد الموصول في إحالته هذه عموم العنصر الإحالي فيبقى مفتوحاً على كل متلقي على مديات النص الزمانية والمكانية ؛ إذ ((يعتمد هذا النوع من الإحالة في الأساس على سياق الموقف ويكتسب معناه من موقع ما تحيل عليه الضمائر في عالم النصم العناية الكبيرة بالموقف الاتصالي مع الجماعة التي يعاصرها)) ^(٣)، وعليه وظف العنصر الاشاري (من) ليس للإشارة إلى ما يمكن ادراكه فقط من السياق وإنما لاستحضار عنصر إحالي خارج نطاق النص يدركه ذهن السامع له .

ووردت الإحالة بالموصول (ما) في آيات التبليغ في (١٢) موضع ^(٤)، منها الإحالة ب(ما) للدلالة على التحويل في قوله تعالى: {أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف ٦٢} ، فقوله تعالى على لسان النبي نوح (ع): {وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} لقومه بعد أن دعاهم إلى التوحيد فاتهموه بالضلال المبين في قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِالْقَوْمِ هُتِفًا لِيَأْتِيَ الْقَوْمَ عَبْدُ اللَّهِ هَا كُفَّ مَنِّي إِلَهُ غَيْرُهُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} قَالَ لَمَّا مَنَّ الْقَوْمُ بِهَا نَالَ تَرَكَ فَيَضَلُّ الْمُؤْمِنِينَ*^(٥)

قَالَ الْقَوْمُ مَلَيْتُمْ سِيضًا لَكُلِّ وَكُنَّا نَسْأَلُكَ الْعَالَمِينَ} {الأعراف ٥٩-٦١}، فالضمير المستتر في قوله تعالى (ابلغكم) عائد على مرجع مذكور في السياق اللغوي السابق للآية وهو (نوح) (ع) وهو المبلِّغ، وجاء الموصول (ما) لفظاً عاماً في كل ما علمه النبي نوح (ع) (من التبليغ) ، فالمقصود منه هنا المعلومات المخفية على قومه، لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت من قبل، فتضمن الخطاب معنى الوعيد ^(٥) الذي يفصله قوله تعالى على لسان نوح (ع): {أَوْعِظْهُمْ نَجَاءً كَمَا ذُكِّرْتُمْ بَلَّغْ لَكُمْ عِلْمَ رَبِّكُمْ} {نوح ٥٩}

(١) انوار التنزيل واسرار التأويل: ٣٠٥/١

(٢) ظ: تفسير الميزان: ٣٩/٧

لِيُنذِرَكُمْ مَوْلَاتِكُمْ تَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* فَكَذَّبُوهُمَا فَجَبَنَّا هُودًا لَنِيْمَعُهُنَّ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِي نَكَذَّبُوا يَا أَيُّهَا تَنَا إِنَّا نَهْمُكُمْ أَنْتُمْ قَوْمًا عَمِينَ {١} لأعراف ٦٤-٦٣ تهديداً لهم بحلول العذاب بهم في العاجل والآجل ، وفتحاً لبصائرهم أن تتطلب العلم بما لم يكونوا يعلمونه ، وكل ذلك شأنه أن يعثهم على تصديقه وقبول ما جاءهم به ، فهو تنبيه إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العالية ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلموه أو يلوموه ^(١). ويلحظ أن العنصر الاحالي المبهم (ما) قد أحال على مرجع مفسر له مذكور قبله ومفسر بعده في النص الكريم ، وبهذا ارتبطت الأحداث النصية عن طريق الإحالة بالموصول (ما) .

وقد يستعمل الموصول لإرادة الوصف والبيان بما تضمنته صلته ، ومما جاء في آيات التبليغ منه الإحالة (بالذنين) في قوله تعالى : { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى اللَّهُ حَسِيبًا } الأحزاب ٣٩ إذ أحال الموصول (الذنين) إلى ماتقدم ذكره في السياق اللغوي السابق للآية (الذين حلوا) في قوله تعالى : { مَا كَانُوا عَالَمِينَ نَبِيٍّ مِّنْ حَرْجِيمًا فَضَالًا لَّهُ سُنَّةٌ اللَّهُ فِيهَا الَّذِي خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا } الأحزاب ٣٨ ، والمراد بـ { الذين حلوا } : الأنبياء بقريظة (لفظ النبي) ، أي الذين حلوا من قبل النبوة ^(٢) ، وقد زاده بياناً قوله تعالى : { يبلغون رسالات الله ويخشونه } ويتبين أن الآية الأولى مثلت محور النص الذي تدور حوله الأحداث وبهذا أدت الإحالة دوراً فاعلاً في سبك النص .

٣- الإحالة باسم الإشارة

تعد أسماء الإشارة من المبهمات فهي كالضمائر لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه ^(٣) ، وبهذا الإجماع تكون أسماء الإشارة من روابط الجملة ^(٤) ، فهي تشترك مع الضمائر والموصولات في المرجعية الإحالية ؛ إذ انها تعين الذات

المشار إليها فتحتاج إلى مذكور قبلها أو محسوس بعدها ^(٤) فيستعمل استعمال الروابط فينقل معنى ما يسبقه إلى معنى

ما يلحقه فيكون اسم الإشارة بديلاً عن لفظة أو جملة ، أو نص ، فتكون الإحالة بما على نوعين اعتماداً على المدى

الفواصل بين العنصر الإحالي وما يفسره^(٥) ١-الإحالة ذات المدى القريب وتجري في مستوى الجملة الواحدة
٢-الإحالة ذات المدى البعيد، وهي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة

في فضاء النص .

وقد ورد استعمال اسم الإشارة (ذلك) في آيات التبليغ في موضع واحد فقط، متصلاً بحرف التشبيه (الكاف) ،

(١) ظ: المخر الوجيز: ٥٥/٣ و ظ: التحرير والتنوير ٤٣١/٥

(٢) ظ: التحرير والتنوير ٤٣١/٥

(٣) ظ: الكتاب : ٥/٢ و ظ: نسيج النص: ١١٨-١١٩

(٤) ظ: مغني اللبيب: ١٥٩/٢

(٥) ظ: دراسات لغوية تطبيقية: ١٥٠-١٥١

في قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل ٣٥ والإشارة ب(كذلك) إلى

الإشراك وتحريم أشياء من تلقاء أنفسهم ، أي كفعل هؤلاء فَعَلَ الذين من قبلهم وهم أقوام الرّسل السالفين^(١) المشار إليهم في السياق اللغوي السابق للآية ،والإحالة قبلية على قوله تعالى : { قد مكر الذين من قبلهم } سورة النحل : ٢٦ وبقوله : { كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله } سورة النحل : ٣٣ ، والمقصود : أنهم فعلوا كفعلهم فكانت عاقبتهم ما علمتم ، فلو كان فعلهم مرضياً لله لما أهلكهم ، فهلا استدّلوا بهلاكهم على أن الله غير راض بفعلهم ، وقد فُرع على ذلك قطع الحاجة معهم وإعلامهم أن الرسل (ع) ما عليهم إلا البلاغ ومنهم محمد (ص) فاحذروا أن تكون عاقبتكم كعاقبة أقوام الرّسل السالفين - إذ أفاد اتصال الكاف باسم الإشارة دلالة التشبيه بين الفعلين -، وليس الرسل بمكلفين بإكراه الناس على الإيمان ، والكلام موجّه إلى النبي (ص) تعليماً وتسلياً ، ويتضمّن تعريضاً بإبلاغ المشركين.^(٢) فالإحالة ذات المدى البعيد بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص .

أما اسم الإشارة (هذا) فقد ورد في موضعين فقط من آيات التبليغ^(٣) منها قوله تعالى : { إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ غَابِطِينَ } الانبياء ١٠٦ ، إذ أحال اسم الإشارة إلى ما تقدم ذكره كونه يعود على تفصيل سابق ، في قوله تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرْنُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } الانبياء ١٠٥ ، فالإحالة الإشارية في

قوله تعالى : { إن في هذا } إلى مرجع مذكور في السياق اللغوي السابق للآية وهو الوعد الموعد في الزبور والمبلىغ في القرآن ، وإعلان بأنه قد آن أوانه وجاء إبانه ، فلما جاء الإسلام وآمن الناس بمحمد (ص) فقد بلغ البلاغ إليهم^(٤) . وبهذا ربط العنصر الإحالي بين البشري في الآية السابقة (ورثة الارض للعباد الصالحين) والبلاغ بالبشري للعبادين ، وكأنه نتيجة منتظرة لعبادتهم وإيمانهم وصلاتهم ، ويرى الزمخشري أن ((الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة))^(٥) إذ استحضر اسم الإشارة (هذا) الأحداث السابقة جميعها فأحال على مقاطع نصية بلفظ موجز وربط بين السابق واللاحق عن طريق الإيجاز اللفظي ، والاحالة ذات مدى بعيد -على ما يراه الزمخشري - إذا ما قلنا بإمكانية الإحالة على جملة كاملة أو متتالية من الجمل وهو ما يسمى بالإحالة الموسعة^(٦)

(١) ظ: التحرير والتنوير : ٤٢/٨

(٢) ظ: التحرير والتنوير : ٤٢/٨ وما بعدها

(٣) الانبياء: ١٠٦ وإبراهيم: ٥٢

(٤) ظ التحرير والتنوير ٢١٧/٩

(٥) الكشاف : ٤/٢٦٦ ،

(٦) ظ: لسانيات النص : ١٩

ثانياً- الحذف في آيات التبليغ

يمثل الحذف أحد عناصر السبك النصي ، ولم يختلف مفهوم الحذف عند النصيين عما وجد عند علماء العرب قديماً ، إذ يتفق القدماء والمحدثون على أن الحذف هو إسقاط جزء من الكلام (حرفاً أو كلمة أو جملة) ، فضلاً عن اتفاقهم على شرط الحذف بوجود القرائن اللفظية والمقامية الدالة على المحذوف ، وإلا أدى ذلك إلى الخلل في الفهم واللبس في الكلام^(١) ، ومما ورد من صور الحذف في آيات التبليغ :

١- حذف المفعول : ومنه قوله تعالى : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا خِذْرًا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا كُنْتُمْ سَوَافِرًا } المائدة ٩٢ ، وحذف مفعول { احذروا } لِيُنزَلَ الفعل منزلة اللازم لأنَّ القصد التلبس بالخذر في أمور الدين ، أي الحذر من الوقوع فيما يأباه الله ورسوله ، وذلك أبلغ من أن يقال واحذروهما^(٢) ، أو (احذروا الله واحذروا الرسول) فتقدير المحذوف معتمد على دليل لفظي سابق ، مفسر للمحذوف ، فضلاً عما حققه الحذف من دلالة لا تتحقق في حال الذكر ، فضلاً عن الإيجاز واختصار العبارة القرآنية .

٢- حذف المبتدأ : ومنه قوله تعالى :
{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَّرَ اللَّهُ الرَّسُولَ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَمَا نَهَيْتَهُمْ أَنْ يَعْجِلُوا بِالسَّاعَةِ مِنْهَا إِنَّهَا لَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ لِّهَٰلِكَ الْآلِ الْفُقَرَاءِ }
مُالْفَاسِقُونَ { الأحقاف ٣٥ ، فقوله : { بلاغ } خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذا بلاغ بمعنى هذا تبليغ وإنذار ، على طريقة العنوان على نحو ما يكتب في أعالي المنشورات القضائية والتجارية كلمة : «إعلان» ، ويؤيد هذا التقدير مجيء ما يؤيده أو يدل عليه في النص القرآني ، إذ يظهر اسم الإشارة كما في قوله تعالى : { هذا بلاغ للناس } إبراهيم : ٥٢ ، وقوله تعالى : { إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين } الأنبياء : ١٠٦^(١) . ومنهم من يذهب إلى تقدير آخر : فبلاغ مبتدأ وخبره (لهم) فيكون الوقف على (ولا تستعجل) ، وهذا غير راجح ؛ لتعلق لهم ب(ولا تستعجل) ولحيلولة الجملة التشبيهية (كأنهم يوم يوعدون) بين المبتدأ والخبر، فضلاً عما فيه من تفكيك الكلام^(٢) في حين يساعد التخريج الأول على سبك النص وربط أجزاءه بعضها ببعض، فجاء الكلام متناسقاً منسجماً.

(١) ظ: بناء الجملة العربية : ٢٥٩

(٢) ظ: التحرير والتنوير : ٢٨٧/٤

(٣) ظ: معاني القرآن : الاخفش : ٥١٩/٢ ، مفاتيح الغيب : ٢٨/٣١ والتحرير والتنوير : ٢٨/٢٦

(٤) ظ: البحر المحيط : ٦٨ / ٨

ثالثاً- الشرط في آيات التبليغ :

الشرط أسلوب نحوي يترتب على طرفين : (جملة فعل الشرط) و(جملة جواب الشرط) ، يرتبطان عن طريق الأدوات ، إذ تدخل على الجملتين فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما كالجملية الواحدة^(١) ، وبني التركيب الشرطي في علم لغة النص على ما بني عليه في علم النحو ؛ إذ يدرس علم لغة النص العلاقة القائمة بين جملتي الشرط والجزاء من جانب ووظيفة الأدوات في الربط بين الجملتين من جانب آخر ، وبيان المنحى الدلالي الذي تقوم به هذه الأدوات^(٢) وقد ورد أسلوب الشرط في آيات التبليغ في ثمانية مواضع^(٣) : منها قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } المائدة ٦٧ ، وقد اورد علماء التفسير أكثر من رأي في تفسير (التبليغ) المرموز إليه ب(ما) في النص الكريم منها :^(٤)

١- رسالة النبي (ص) بالاسلام : فإن الله تعالى بعث النبي (ص) برسالة ضاق بها ذرعاً وكان يهاب قريشاً فأزال الله تعالى بهذه الآية تلك الهيبة .

٢- يريد به إزالة التوهم من إن النبي (ص) كتم شيئاً من الوحي للتقية .

٣- ولاية الامام علي (ع) : إذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه(ص) أن ينصب علياً (ع) على الناس فيخبرهم بولايته ،فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابي ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه ؛ فأوحى إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدیر خم .

فالكلام موضوع في صورة التهديد ،وحقيقته بيان أهمية الحكم ،فجملة (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) جملة شرطية سيقت لبيان أهمية الشرط وجوداً وعدمياً؛ لترتب الجزاء الأهم عليه وجوداً وعدمياً ، وليست شرطية مسوقة على طبع الشرطيات الدائرة عندنا ؛ذلك بأن الأداة (أن) الشرطية تستعمل فيما نجهد بتحقيق الجزاء للجهل بتحقيق الشرط وحاشا ساحة رسول الله (ص) من أن يقدر القرآن في حقه احتمال أن يبلغالحكم النازل عليه من ربه وأن لا يبلغ ،

فالجملة إنما تفيد التهديد بظاهرها ، وتفيد إعلامه وإعلام غيره مالهذا الحكم من الأهمية ،وإن الرسول (ص)معذور في تبليغه^(٥) ،وسياق الآية يدل على عظمة هذا البلاغ المرموز إليه ب(ما) الموصوف بجملة :
————— ماأنزل إليك من ربك

(١)ظ: شرح المفصل ابن يعيش : ١٥٦/٨

(٢) النص والسياق : ١٠٤- ١١٩

(٣)الاعراف:٦٢، الاحقاف:٢٣، المائدة:٦٧، هود:٥٧، الجن:٢٨، المائدة:٩٩، مرتان، الرعد : ٤٠ ، النور:٤٥، الشورى:٤٨، الاحقاف:٣٥

(٤)-ظ : التبيان في تفسير القرآن : ١٩/٤ ، وظ: تفسير الميزان:٤٢/٦ وظ: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٧٧/٤

(٥)ظ: تفسير الميزان : ٤٢/٦

،حتماًناط الله تبليغ الرسالة جميعها بتبليغه (ص) لهذا البلاغ ، باستعمال اسلوب الشرط والجزاء، وهل هناك أمر يحتمل كل هذه الصفات غير استخلاف النبي (ص) وتعيين مستقبل الاسلام ؟ واستمرار الدعوة مستقيمة مصونة من الانحراف؟^(١) ، وعليه فإن الإحالة هنا على مرجع غير مذكور في سياق النص ، وإنما يتصل بسياق الحال أو المقام (سبب النزول) ؛فالخطاب القرآنيالمتقدم ذو أبعاد سياقية لم تقف عند حدود اللفظ فحسب ؛إذ تضافر التركيب الذي يعد مدخلاً للوصول إلى الدلالة مع سبب النزول فكشف عن نسق المعاني المترتبة على ذلك ؛ ذلك بأن ((العلاقة بين المقام والمقال تسيير في اتجاهين على نحو مستمر فكما أن المقال دليل على المقام فكذلك نجد المعرفة بالمقام ضرورية في فهم المقال))^(٢) ،والحق إنه لا ريب

من علاقة هذه الآية بمسألة الولاية اعتماداً على تضافر الروايات (سبب النزول) وعلى التركيب الشرطي الوارد في الآية .

ومن الربط بين الشرط والجزاء في آيات التبليغ قوله تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } هود ٥٧، إذ ربطت أداة الشرط (إن) بين جملة الشرط والجواب ، وجعل جواب شرط التولي قوله : (فقد أبلغتكم) ، وقد استعملت الفاء في جواب الشرط ذلك بأن فعل الشرط مقترن بقدر (٣) مما أكد الارتباط بين الجملتين ، و مع أنّ الإبلاغ سابق على التولي المجعول شرطاً لكون المقصود بهذا الجواب هو لازم ذلك الإبلاغ ، وهو انتفاء تبعة توليهم عنه وبراءته من جرمهم ؛ ذلك بأنه أدى ما وجب عليه من الإبلاغ ، فإن كان من كلام هود (ع) ف { ما أرسلت به } هو ما تقدم ، وإن كان من كلام النبي (ص) فما أرسل به هو الموعدة بقصة قوم هود (ع) ، وعلى كلا الوجهين فهو كناية عن الإنذار بتبعة التولي عليهم ونزول العقاب بهم ، ولذلك عطف { ويستخلف ربي قوماً غيركم } بمعنى : يزيلكم ويخلفكم بقوم آخرين لا يتولون عن رسولهم (٤) ومن استعمال الشرط في آيات التبليغ قوله تعالى : { فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنَ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } آل عمران ٢٠ ، والملاحظ في النص القرآني المتقدم تكاثف استعمال الأدوات الرابطة ولا سيما أدوات الشرط : وهي على الترتيب : ١- { فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ } ٢- { إِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا } ٣- { إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ } ؛ ولما كانت قصدية النص إحداث التأثير في نفوس وفد نجران لم يكتف بإيراد التركيب الشرطي الأول ، وإنما أعقبه التركيب الشرطي الثاني وهو قوله تعالى { فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا } ، والتركيب الشرطي الثالث في قوله تعالى : { إِنْ تَوَلَّوْا } .

(١) ظ: ط : جمع البيان : ٥٨٨/٣ و ظ: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٧٧/٤ و ظ: تفسير الميزان : ٤٢

(٢) - ظ: الدراسات الاحصائية للاسلوب ، بحث في المفهوم والاجراء ، م/٢٠ ، ع/١١٥ : ٣

(٣) ظ: بناء الجملة العربية : ٢١٣

(٤) ظ: التحرير والتنوير : ٢٤٠/٤

{ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ } ، وقد ساعد التعالق الشرطي عن طريق أدوات الشرط في سبك النص ؛ فكل جملة في الآية سبب لحدوث الأخرى مما أدى إلى تسلسل الأحداث ، فأضفت أدوات الشرط على الأحداث قوة وتمسكاً لا يتهيأ لها في حال انفصالها ولولا هذه الأدوات لأصبحت الآية قطعاً قولية مفككة .

ومن الشرط في آيات التبليغ قوله تعالى : { وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } {الرعد ٤٠} وفي هذا إنذار للمبلغين من قبل الرسول (ص)، بأن الوعيد نازل بهم ولو تأخر؛ وأن هذا الدين يستمر بعد وفاة رسول الله (ص) لأنه إذا كان الوعيد الذي أمر بإبلاغه واقعاً ولو بعد وفاته فبالأولى أن يكون شرعه الذي لأجله جاء وعيد الكافرين به شرعاً مستمراً بعده، ومما زاد في سبب النص تأكيد الشرط بنون التوكيد و { ما } { المزيدة بعد { إن } الشرطية مراد منه تأكيد الربط بين هذا الشرط وجوابه وهو { إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب }، فضلاً عن أن نون التوكيد لا يقترن بها فعل الشرط إلا إذا زيدت { ما } بعد { إن } الشرطية فتكون إرادة التأكيد مقتضية لاجتلاب مؤكدين ، فلا يكون ذلك إلا لغرض تأكيد قوي^(١)، ومما زاد النص انسجاماً وتعالقاً افتتان الجواب بالفاء التي أدت وظيفتها النصية مما يجعل المعنى تاماً منسجماً، وبهذا تكون العلاقة وطيدة بين مكونات الاشتراط _ الشرط والجواب - .

٣-- العطف في آيات التبليغ :

درس النحاة العطف في باب التوابع، وقد نظروا إلى أدوات العطف على أنها ناقلة لأثر العامل، مركزين على الجانب الوظيفي الدلالي لهذه الأدوات ، فوظيفة أداة العطف ربط الكلام بعبءه ببعض^(٢)، وقد تناول الدرس اللساني الحديث أسلوب العطف وأثره في السبك النصي، إذ يعد العطف علاقة اتساع واقتصاد في الوقت نفسه عند

ارتباط العنصر اللغوي بغيره أو الجملة بغيرها فيكون علاقة اتساع ، ويمكن عده علاقة اقتصاد من حيث اشتراك

التركيب الثاني مع ما سبقه في الحكم ؛ فيعوض حرف العطف عن تكرار الحكم المسند للعنصر اللغوي^(٣) وللعطف أربعة معان تؤدي إلى الترابط بين المعطوف والمعطوف عليه ومن ثم إلى سبك النصي هي: (مطلق الجمع، والتخيير، والاستدراك، والتفريع)^(٤)، وعند النظر في آيات التبليغ نجد أن أدوات العطف قد حققت وظيفة السبك النصي في السياق المقالي وقد ورد العطف فيها ب(الواو) (٤١) مرة، ومن ذلك قوله تعالى : { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيُلْعَنُوا أَلْمَاهُةَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرُوا أَلْوَابِ } إبراهيم ٥٢، فعطف { ولينذروا } على { بلاغ } عطف على كلام مقدر يدل عليه لفظ { بلاغ } ، والتقدير هذا بلاغ للناس ليستيقظوا من غفلتهم ولينذروا به .^(٥) وقد أفاد

(١) ظ: التحرير والتنوير : ٣٩٣/٧

(٢) شرح المفصل : ٢٧٨/٢،

العطف الترتيب إذ رتبت صفات الآيات المشار إليها باسم الإشارة على ترتيب عقلي بحسب حصول بعضها عقب بعض ، فابتدىء بالصفة العامة وهي حصول التبليغ ، وقد مثلت هذه الجملة بؤرة النص ، وجاء أثر العطف فيتوسيع هذه البؤرة فجاء بما يعقب حصول التبليغ من الإنذار ، ثم ما ينشأ عنهم العلم بالوحدانية لما في هذه الآية من الدلائل عليه ، ثم بالتذكير في ما جاء به ذلك البلاغ وهو تفاصيل العلم والعمل ، وهذه المراتب هي جامع حكمة مما جاء به الرسول (ص) موزعة على من بلغ إليهم ، ويختص المسلمون بمضمون قوله : { وليذكروا أولوا الألباب } ^(١) ، فكانت الدلالات منتظمة في داخل وحدة كلامية قائمة برأسها فالتقى الشكل التركيبي بالشكل المعنوي ^(٢) ؛ فكان العطف من نوع الوصل التشريكي الإضافي وذلك بتشريك القضايا المتعددة بجعلها متسقة متضاماً بعضها إلى بعض عن طريق الربط بين الجمل ^(٣) ومن العطف (الواو) في آيات التبليغ للدلالة على الاستدراك قوله تعالى : { فَتَوَلَّوْهُمْ مَوْقَالِيًّا قَوْمًا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُكُمْ بِهَا وَلِئِن مَّرَدُّوا فَذَرْهُمْ حَيْثُ يَشَاءُونَ لَقَدْ أبلغتكم رسالتي ونصحت لكم } لأنه مستعمل في التبرؤ من التقصير في معالجة كفرهم ، سواء أكان بحيث هم يسمعون أم كان قاله في نفسه ، فذلك التبرؤ يؤذن بدفع توهم تقصير في الإبلاغ والتصحيح لانعدام ظهور فائدة الابلاغ والتصيحة ، فجملة: { ولكن لا تحبون لتاصحين } استدراك عن مفهوم ماقبله إذ ربطت (ولكن) بين صورتين مختلفتين ، الأولى (نصحت لكم) والثانية (لا تحبون التاصحين) أي تكرهون التاصحين فلا تطيعونهم في نصحتهم ، لأنّ المحب لمن يحب مطيع ، فأراد بذلك الكناية عن رفضهم التصيحة ^(٤) وهو ما يسمى بعطف النقيضين : ويكون بالعطف على عكس ما هو متوقع ، ويفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة ^(٥)

وورد العطف (بأو) في آيات التبليغ مرة واحدة لإفادة التخيير في قوله تعالى : { وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِتَتَذَكَّرَ أَلْأَنْبِيَاءَ وَمَنْ يَنْصُرْكُمْ فَإِنَّمَا أَضْمُرُّكُمْ وَيَوْمَ يَأْتِيكُمْ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَفَاعَةً إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ اللَّهُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } الرعد ٤٠ ، بمعنى : نحن مخيرين بين أمرين : أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الديني أولم تُركه فعلينا ذلك ، وما عليك إلا تبليغ الرسالة فلا تهم بما وراء ذلك فنحن نكفيك ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يُضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ، فبينت هذه الجملة أن النبي ليس مأموراً بالاشتغال بذلك ولا بترقبه وإنما هو مبلغ عن الله

لعباده والله يعلم ما يحاسب به عباده سواء شهد النبي ذلك أم لم يشهده .^(٦) ، وبهذا ربطت الأداة (أو) بين صورتين أو موقفين .

(١) التحرير والتنوير : ٤٥٢/٧

(٢) (بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية : ٧٠)

(٣) ظ: النص والخطاب والاجراء : ٣٤٦* مثلها الاحقاف ٢٣ اذ وردت دلالة الاستدراك في الموضوعين لإقتران (الواو) (لكن)

(٤) ظ: التحرير والتنوير : ٣٦٥/٥

(٥) ظ: لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣-٢٤

(٦) التحرير والتنوير : ٣٩٣/٧

المبحث الثاني : عناصر السبك المعجمي في آيات التبليغ

أولاً: التكرار في آيات التبليغ

يعد التكرار مظهراً من مظاهر الاتساق المعجمي فالقصد من تكرير الاسم ((إنما هو تكرير المعنى))^(١) ، فهو ضرب من ضروب الإحالة ؛ فقد يتكرر لفظان مرجعهما واحد فالثاني يحيل إلى الأول ومن ثم يحدث السبك بينهما ومن ثم بين الجمل الوارد فيهما اللفظان طرقي التكرار^(٢) ، وتكرار مفردة أو جملة بعينها يؤكد على أهميتها في بناء المعنى ويؤكد محوريتها^(٣) ، ومن صور التكرار في آيات التبليغ قوله تعالى : { قُلْ أَتُشْرِكُونَ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ لِّلَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَوْ حَيًّا لِيَهْدَ الْفُرْقَانُ أَتُذَكَّرُونَ مَنبَعًا تَنبَغُ لَكُمْ لَشَهِدُونَ وَأَمَّا لِلَّهِ لُحْرَةٌ لِلَّهِ شَهَادَةٌ قُلْ أَتُشْرِكُونَ } الأنعام ١٩* يلحظ من النص المتقدم تكاثف تكراري أسهم في ربط أجزاء النص عن طريق تكرار فعل القول (قل) ، الذي يحيل على (المبليغ) الرسول (ص) ، وتمثل هذه الكلمة الأمر الإلهي بتبليغ ما نزل من الله سبحانه وتعالى للتنبية على أن الرسول (ص) لا دخل له بالوحي فهو مخاطب لا متكلم ، حاك ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه^(٤) ؛ إذ أعيد فعل (القول) لتأكيد التبليغ .^(٥) ، وأسهم التكرار بسبك العبارات في داخل الوحدة النصية ، يربط اجزائها بحكم إن المكرر يرجع بالذهن إلى اللفظ الأول ؛ وهذا ما يجعل النص مترابطاً متماسكاً فكان فعل القول مرتكزاً أساساً في البنية الخطابية ، فأظهر التكرار البؤرة الأساسية في النص ، وهو من التكرار المباشر الكلي التام باعادة العنصر المعجمي نفسه من دون تغيير فأفاد تأكيد العنصر المكرر وترسيخه في ذهن المتلقي^(٦) ومما زاد في سبك النص ابتداء الآية المباركة بأسلوب الاستفهام التقريري ، و هذا الأسلوب يهيء السامعين لتلقي ما يرد

بعد الاستفهام ،وقوله : (أي) اسم استفهام يطلب به بيان أحد المشتركات فيما أضيف إليه هذا الاستفهام ، والمضاف إليه هنا هو { شيء } المفسر بأنه من نوع الشهادة .^(٧) وأما قوله : { قل الله شهيد بيني وبينكم } :ف((جواب للسؤال ، ولذلك فصلت جملته المصدرة ب { قل } . وهذا جواب أمر

(١)أصول تحليل الخطاب :١١٠٨/٢

(٢) ظ:البدیع بین البلاغة العربية واللسانيات النصية :٧٩

(٣)نظرية علم النص :رؤية منهجية في بناء النص النثري :١٠٨

*ومثلها الانعام /٩٢

(٤) ظ:مباحث في علوم القرآن :د صبحي الصالح : ٣٠

(٥) ظ: التحرير :٣٨٨/٤

(٦)ظ:نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٠٦-١٠٧

(٧)ظ:التحرير والتنوير : ٣٨٨/٤

به المأمور بالسؤال على معنى أن يسأل ثم يبادر هو بالجواب لكون المراد بالسؤال التقرير وكون الجواب مّا لا يسع المقرّر إنكاره))^(١) ، ووقع قوله : { الله شهيد بيني وبينكم } ((جواباً على لسانهم لأنه مرتّب على السؤال وهو المقصود منه فالتقدير : قل شهادة الله أكبر شهادة ، فالله شهيد بيني وبينكم . . . والمعنى : أيّ أشهد الله الذي شهادته أعظم شهادة أنني أبلغتكم أنه لا يرضى بأن تشركوا به وأنذرتكم))^(٢) ، ومما زاد في سبك النص قوله تعالى: { وأوحى إليّ هذا القرآن { عطف على جملة { الله شهيد بيني وبينكم } ، وبتكرار و(شهادة وشهيد وتشهدون وأشهد) وهو -من التكرار الجزئي الاشتقائي - وهو الأهمّ فيما أقسم عليه من إثبات الرسالة ، وينطوي في ذلك جميع ما أبلغهم الرسول(ص) وما أقامه من الدلائل ، واقتصر على جعل علة نزول القرآن للندارة دون ذكر البشارة لأنّ المخاطبين في حال مكابرتهم - التي هي مقام الكلام - لا يناسبهم إلاّ الإنذار ، فغاية القرآن بالنسبة إلى حالهم هي الإنذار ، ولذلك قال { لأنذركم به { مصرّحاً بضمير المخاطبين .^(٣) ، وتعددت صور التكرار في الآية المباركة مما أسهم في اثناء النص منها تكرار (فإن -فإنما - وإن) ، وتكرار لفظ الرسول (ص) مرتين ، وتكرار(حمل وحملت) فاللفظ المكرر أفاد في تحقيق السبك النصي ولم يكن مجرد محسن لفظي فحسب ، بل وسيلة لتحقيق شبكة موحدة تدعم الغرض المتصل بالنص^(٤) .

ومن التكرار المباشر الكلي التام باعادة العنصر المعجمي نفسه من دون تغيير ، فأفاد تأكيد العنصر المكرر وترسيخه في ذهن المتلقي تكرار لفظ الانسان (المبلّغ) مرتين في قوله تعالى :

{ فَإِنَّا عَرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مَحْفِظًا لِنُعَلِّمَكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَبْنَا وَأَنْتَصِبُهُمْ مَّسِيحَةً بِمَا قَدَّمْتَنَا يُدِيهِمْ مَقَاتِلًا لِنُنَسِّئَنَّهُمْ كُفُورًا } الشورى ٤٨، أفاد تكرار اللفظين سبك أجزاء النص ، ذلك بأن المكرر يرجع بالذهن إلى اللفظ الأول كما أشرنا سابقاً ، فالمراد بـ { الإنسان } المعرف بـ(ال) في الموضوع الأول والموضوع الثاني: معنى واحد وهو تعريف الجنس المراد به الاستغراق ، أي إذا أذقنا الناس ، فإن الناس كفُورون ، ويكون استغراقاً عرفياً أريد به أكثر جنس الإنسان في ذلك الزمان والمكان لأن أكثر نوع الإنسان يومئذٍ مشركون ، وهذا هو المناسب لقوله : { فإن الإنسان كفور } أي شديد الكفر قويه ، وإنما عدل عن التعبير بالناس إلى التعبير بالإنسان للإيماء إلى أن هذا الخلق المخبر به عنهم هو من أخلاق النوع لا يزيله إلا التحلق بأخلاق الإسلام فالذين لم يسلموا باقون عليه ، وذلك أدخل في التسلية لأن اسم الإنسان اسم جنس يتضمن أوصاف الجنس المسمى به على تفاوت في ذلك ، وذلك لغلبة الهوى^(٥) ، فكان المبلغ (الإنسان) المرتكز الأساس في بنية الخطاب فأحال المكرر إلى اللفظ الأول، فبمجرد أتمام اللفظ الثاني يعود الذهن بالذاكرة إلى اللفظ الأول بوصفه المرتكز الأساس في بنية الآية الخطابية .

(١) التحرير والتنوير: ٣٨٨/٤

(٢) م ٥٠: ٣٨٨/٤

(٣) ظ: التحرير والتنوير: ٣٨٨/٤

(٤) نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٧٠

(٥) ظ: المحرر الوجيز : ٥٩/٦ ومفاتيح الغيب : ١٣: ٤٤٨ ، والتحرير والتنوير : ١٣/ ١٥٥

ثانياً: المصاحبة المعجمية في آيات التبليغ

تعدّ المصاحبة المعجمية من أهم القيود السياقية فهي عبارة عن ((ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية ويكون معناها مفهوماً من الجزئيات المكونة لها))^(١) وبهذا يتحقق اختيار الألفاظ بنظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها ، على وفق التطالب المعجمي والتركيب (القواعدي) فيما بين الكلمات المؤلفة للنص ، وهذا بدوره يحقق المقبولية أو التقبلية الدلالية المعجمية والنحوية ، والمصاحبة المعجمية تكون على صور هي (المطابقة ، والمقابلة ، ومراعاة النظر)^(٢) ، والعلاقة بين المصاحبات المعجمية على أنواع منها : (علاقة التلازم بين الألفاظ ، وعلاقة التوارد ، وعلاقة التناهي)^(٣) ومن صور المصاحبة في آيات التبليغ قوله تعالى : { مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } المائدة ٩٩ ، والملاحظ أن النص القرآني الكريم قد تألف من علاقة تضاد بين اللفظين (تُبْدُونَ و تَكْتُمُونَ) فكتم الشيء يَكْتُمُهُ كَتْمًا وَكَيْمَانًا إذا ستره وأخفاه ، والكَتْمَانُ : نَقِيضُ الْإِعْلَانِ ،^(٤) و(بدا) يُبْدُو وابدأ إذا أظهر الشيء ظهوراً بيناً^(٥) ، ويتنج السبك عن طريق

اللفظين المتضادين ، فقوله تعالى : { ما على الرسول } أي الذي من شأنه الإبلاغ { إلا البلاغ } أي بأنه يحل لكم الطعام وغيره ويجرم عليكم الخمر وغيرها ، وليس عليه أن يعلم ما تضمرون أو تخفون وما تظهرون ليحاسبكم عليه ، فالله يعلم بذلك فهو المحيط بكل شيء قدرة وعلماً ، والجملة فيها تهديد إذ أخبر تعالى أنه مطلع على حال العبد ظاهراً وباطناً فهو مجازيه على ذلك ثواباً أو عقاباً ، ويحتمل أن يكون المعنى أنه تعالى ألزم رسوله التبليغ للشريعة وألزمكم أنتم تبليغها فهو العالم بما تبدون من التبليغ وما تكتُمونه فيجازيكم على ذلك وكان ذلك خطاباً لأمته إذا كان الإبداء والكتم يمكن صدورهما منهم بخلاف الرسول(ص) ، فإنه يستحيل عليه أن يكتُم شيئاً من التبليغ والشرائع^(١) ، وهذا مايرجحه البحث .

ومن المقابلة في آيات التبليغ قوله تعالى : { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحْنَا بِهَا وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } الشورى ٤٨ * ، فالمقابلة حصلت بين قوله تعالى : { وَإِنَّا إِذَا أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحْنَا بِهَا } وقوله تعالى : { وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } ، والمتأمل للنص يجد أن الألفاظ المتقابلة قد رسمت صورة ذهنية تدفع بعقل المتلقي إلى الموازنة بين الصورتين ، والظاهر أن علاقة التقابل بين التركيبين لم تكن علاقة تضاد تامة فليس الإذاعة ضداً للإصابة ، ولا الرحمة

(١) مدخل الى علم اللغة : ١٥٧

(٢) ظ:م.ن:١٥٧

(٣) ظ:البيان في روائع القرآن : ١٥٤-١٥٥

(٤) لسان العرب : ١٢/٥٠٦ (مادة كتّم) ، مفردات الفاظ القرآن : ٧٠٢

(٥) لسان العرب : ١٤/٦٥ (مادة بدا) ، مفردات الفاظ القرآن : ١١٣

(٦) البحر المحيط ٥/٢٥

ضداً للسئية ، ولا الفرح ضداً للكفران بالنعمة ، وإنما مجيء العبارتين على هذا النحو من السبك أوحى للمتلقي بالتقابل بينهما ؛ فالإذاعة : مجاز في الإصابة . والمراد بالرحمة : أثر الرحمة ، وهو النعمة ، فالتقدير : وإنا إذا رحّمنا الإنسان فأصبناه بنعمة ، - بقرينة مقابلة الرحمة بالسئية - فرح بما فيسر بما أعطيناه من الغنى ، ورزقناه من السعة وكثرة المال فالمراد بالفرح : ما يشمل الفرح المجاوز حد المسرة إلى حد البطر والتجبر ،^(١) بالمقابل (وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِئَةً) بمعنى : وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش . (بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ) أي بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه ، جحدوا نعمة الله ، وقتنوا من الخير وهو الكفران

بالنعمة فقال تعالى: (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) ^(١) وقد شمل وصف { كفور } ما يشمل كفران النعمة وهما متلازمان في الأكثر. ^(٢) و مما زاد من تماسك او سبك النص : توحيد الضمير في { فرح } لمراعاة لفظ الإنسان وإن كان معناه جمعاً ، ولذلك جاء بعده { وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم } بضميري الجماعة ثم عاد فقال { فإن الإنسان كفور } . فضلاً عن اجتلاب { إذا } في هذا الشرط لأن شأن { إذا } أن تدل على تحقق كثرة وقوع شرطها ، وشأن { إن } أن تدل على ندرة وقوعه ، ولذلك اجتلب { إن } في قوله : { وإن تصبهم سيئة } لأن إصابتهم بالسيئة نادرة بالنسبة لإصابتهم بالنعمة والحكم الذي تضمنته جملة { فإن الإنسان كفور } هو المقصود من جملة الشرط كلها ، ولذلك أعيد حرف التأكيد فيها بعد أن صُدِّرت به الجملة المشتملة على الشرط ليحيط التأكيد بكلتا الجملتين ^(٤) .

ومن أنماط المصاحبة المعجمية في آيات التبليغ: علاقة التلازم الذكري بين الصفة والموصوف ، ويعد هذا النوع من المتلازمات النحوية ، فاحتياج الموصوف إلى صفته من الاساليب اللغوية القائمة على التلازم بين شيئين ، وبهذا نجد كثيراً من الصفات تصاحب موصوفات بأعيانها لا تنوب عنها غيرها فمتى ما ذكر الموصوف المعين توقع المتلقي أو السامع صفته التي تصاحبه فصاروا كالشيء الواحد ^(٥) ، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع من آيات التبليغ ^(٦) ، اقترن فيها لفظ (البلاغ) بلفظ (المبين) على النحو الآتي ^(٧) :

- { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } المائدة ٩٢

- { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النور ٥٤

*ومثلها : ال عمران / ٢٠

^(١) ظ: التحرير والتنوير : ١٥٧/١٣

^(٢) ظ: تفسير الطبري : ٥٥٦/٢١

^(٣) ظ: التحرير والتنوير : ١٥٧/١٣ وما بعدها

^(٤) ظ: البحر المحيط : ٤٨٧/٩ ، و جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٥٦/٢١ ، و التحرير والتنوير : ١٥٥/١٣

^(٥) ظ: الأصول في النحو : ٣٣/٢

^(٦) المائدة ٩٢ ، النور ٥٤ ، التغابن ٢١ ، النحل ٣٥ ، النحل ٨٢ ، العنكبوت ٨١ ، يس ١٧

^(٧) ظ: المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته : ٦٦٥/٦

- { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَي رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } التغابن ١٢

والملاحظ في النصوص المتقدمة انفاً مجيئ (البلاغ الموصوف بالمبين) عقيب الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ثم التولي عنهما ومعلوم أن المقام في مثلها يقتضي الاهتمام بالبلاغ أكثر، فالأمر بطاعة الله وطاعة الرسول فيها اقتضت وصف البلاغ بالمبين .

وعند التدبر في المتبقي من النصوص وهي :

- { وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } يس ١٧

- { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل ٣٥

- { وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } العنكبوت ١٨

نجد أن الآيات جاءت في شأن الرسل عامة، فتحمل أصلاً من أصول الأديان، فتستدعي أن يوصف البلاغ بالمبين .

أما قوله تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل ٨٢، فتوجيه الخطاب فيها إلى الرسول (ص) مما أوجب تفخيم وتعظيم مهمته .

وبهذا اسهمت المصاحبة في سبك نصوص الآيات، فأسهمت في ترابطها وبينت الدلالة الدقيقة للاستعمال القرآني الكريم للالفاظ المتصاحبة؛ إذ إن الموصوف (البلاغ) صاحب صفة بعينها لا يمكن أن تنوب عنها غيرها نظراً لمقتضيات السياق التي تستدعي أن يوصف البلاغ بالمبين، وعليه فمتى ما ذكر (البلاغ) يتوقع المتلقي أو السامع صفته التي تصاحبه فصاروا كالشيء الواحد .

النتائج

١- عدد آيات التبليغ في القرآن الكريم (٢٥) آية، موزعة بين (١٦) سورة (١٠) منها مكية والباقي مدنية، وربما ينسجم هذا مع طبيعة الدعوة الإسلامية في بدايتها إذ كانت تعاني من قلة الأنصار، وقد جاءت مفردات التبليغ في القرآن الكريم أفعالاً وأسماء هي الفعل (بلغ) : وقد ورد في آية واحدة، و(الإبلاغ) ورد في أربع آيات بصيغتين فعليتين هما: (أبلغتكم ، أبلغوا) ، و(التبليغ) : ورد في (٥) آيات بصيغ فعلية مختلفة (أبلغتكم ، يبلغون ، بلِّغ ، بلِّغت) و(البلاغ) ورد في (١٥) آية .

٢- المتأمل للآيات يجد شمول دعوة القرآن الكريم لكل من بلغه إلى يوم القيامة؛ فهدف نزول القرآن هو انذار المبلِّغين وجميع الذين يصل إليهم عبر تاريخ البشر، وعلى إمتداد الزمان وفي أرجاء العالم كافة ، والتحذير من عواقب العصيان .

٣-تضمنت آيات التبليغ قصص دعوة الانبياء لأقوامهم وهم (نوح، وهود، وشعيب، وصالح) للتوحيد والإيمان بالمعاد ومحاججتهم، فضلاً عن آية الخلافة التي نزلت في حجة الوداع وهي آخر ما نزل من القرآن على أشهر الأقوال عند الفريقين، التي نزلت في شأن إمامة الإمام علي (ع) .

٤-بينت آيات التبليغ مهمة الرسول (ص) وهي تبليغ تعاليم القرآن وأهدافه كالتوحيد وهو رأس الدين وجوهره وشريان تعاليمه وكذلك المعاد؛ إتماماً للحجة وقطعاً للعذر ، وقد ورد ذلك (١١) مرة حصرت فيها مهمة الرسول (ص) بالتبليغ ، فالرسول (ص) لا دخل له بالوحي فهو مخاطب لا متكلم ، حاك ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه .

٥-إن الضمائر بأنواعها من أكثر العناصر الإحالية وأهمها في السبك النصي في آيات التبليغ، وتوزعت بين (١٢٥) ضميراً متصلاً، و(٥) ضمائر منفصلة ، و(٣٤) ضميراً مستتراً ، تنوعت الإحالات فيها بين إحالة مقالية، ومقامية، وقبلية، وبعديّة، وقد أسهمت إسهاماً كبيراً في السبك النصي في آيات التبليغ بحسب سياقات ورودها .

٦-وردت الإحالة بالموصول (من) في موضعين من آيات التبليغ على مرجع غير مذكور يفهم من سياق النص (المبليغين) وقد أفاد الموصول في احالتها العموم فبقي مفتوحاً على كل متلقٍ على مديات النص الزمانية والمكانية، ومثله العنصر الاشاري (من) إذ وظف ليس للإشارة إلى ما يمكن إدراكه من السياق فقط وإنما لاستحضار عنصر إحالي خارج نطاق النص يدركه ذهن السامع له ، ووردت الإحالة بالموصول (ما) في آيات التبليغ في (١٢) موضعاً ، وجاء الموصول (ما) للدلالة على العموم وأضفى على الخطاب معنى الوعيد في موضع واحد فقط، واستعمل (الذين) في موضعين من آيات التبليغ لإرادة الوصف والبيان بما تضمنته صلته، وورد استعمال اسم الإشارة (ذلك) في آيات التبليغ في موضع واحد فقط متصلاً بحرف التشبيه (الكاف) ، والإحالة به قبلية إلى مرجع تقدم ذكره في الآيات السابقة، وذات مدى بعيد بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص ، أما اسم الإشارة (هذا) فقد ورد في موضعين فقط من آيات التبليغ وقد أحال اسم الإشارة إلى ما تقدم ذكره كونه يعود على تفصيل سابق ، إذ ربط العنصر الإحالي بين البشرى في الآية السابقة (وراثه الارض للعباد الصالحين) والبلاغ بالبشرى للعابدين ، وكأنه نتيجة منتظرة لعبادتهم وإيمانهم وصلاحتهم ، فأحال على مقاطع نصية بلفظ موجز وربط بين السابق واللاحق عن طريق الإيجاز اللفظي ، والإحالة بما ذات مدى بعيد إذا ما قلنا بإمكانية الإحالة على جملة كاملة أو متتالية من الجمل وهو ما يسمى بالإحالة الموسعة .

٧- كان لمسألة تقدير المحذوف وتحديدده بالقرينة اللفظية الدالة عليه أثر في السبك النصي في آيات التبليغ، فتقدير المحذوف معتمد على دليل لفظي سابق ، مفسر للمحذوف، فضلاً عما حققه الحذف من دلالة لا تتحقق في حال الذكر، فضلاً عن الإيجاز واختصار العبارة القرآنية .

٨- ورد اسلوب الشرط في آيات التبليغ في ثمانية مواضع منها جملة شرطية سيقت لبيان أهمية الشرط وجوداً وعدمياً؛ لترتب الجزاء الأهم عليه وجوداً وعدمياً، إذ أناط الله سبحانه وتعالى تبليغ الرسالة جميعها بتبليغه (ص) لهذا البلاغ ، باستعمال اسلوب الشرط والجزاء، وهو استخلاف النبي (ص) وتعيين مستقبل الاسلام بإمامة امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وقد كانت الإحالة على مرجع غير مذكور في سياق النص اتصل بسياق الحال أو المقام (سبب النزول) فالخطاب القرآني في الآية المباركة ذو ابعاد سياقية لم تقف عند حدود اللفظ فحسب؛ إذ تظافر التركيب الذي يعد مدخلاً للوصول إلى الدلالة مع سبب النزول فكشف عن نسق المعاني المترتبة على ذلك، وفي موضع آخر من مواضع الشرط في آيات التبليغ كانت قصدية النص إحداث التأثير في نفوس المبلّغين؛ وعليه لم يكتف بإيراد تركيب شرطي واحد، وإنما أعقبه بالتركيب الشرطي الثاني، والتركيب الشرطي الثالث، وقد ساعد التعالق الشرطي بين الجمل على تسلسل الأحداث وسبك المعنى؛ فكل جملة فيه سبب لحدوث الأخرى، فأضفت أدوات الشرط على الأحداث قوة وتماسكاً لا يتهيأ لها في حال انفصالها ولولا هذه الادوات لأصبحت قطعاً قولية مفككة .

٩- حققت أدوات العطف في آيات التبليغ وظيفة السبك النصي ، وقد ورد العطف فيها ب(الواو) (٤١) مرة، وقد أفاد العطف في بعضها الترتيب؛ إذ رتبت صفات الآيات المشار إليها على وفق ترتيب عقلي بحسب حصول بعضها عقب بعض ، فابتدىء بالصفة العامة وهي حصول التبليغ وقد مثلت هذه الجملة بؤرة النص ، ثم توسيع هذه البؤرة فجاء بما يعقب حصول التبليغ من الإنذار ثم ما ينشأ عنه من العلم بالوحدانية ، ثم بالتذكير في ما جاء به ذلك البلاغ وهو تفاصيل العلم والعمل ، وهذه المراتب هي جامع حكمة مما جاء به الرسول (ص) موزعة على من بلغ إليهم ، فكانت الدلالات منتظمة داخل وحدة كلامية قائمة برأسها فالتقى الشكل التركيبي بالشكل المعنوي، فكان العطف من نوع الوصل التشريكي الإضافي وذلك بتشريك القضايا المتعددة بجعلها متسقة متضاماً بعضها إلى بعض عن طريق الربط بين الجمل ، ودل العطف ب(الواو) في آيات التبليغ في موضعين على الاستدراك وذلك لاقتنائها ب(لكن) ، إذ ربطت بين صورتين مختلفتين ، وهو ما يسمى بعطف النقيضين : ويكون بالعطف على عكس ما هو متوقع ، فأفاد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة ، في حين ورد العطف ب(أو) في آيات التبليغ مرة واحدة لإفادة التخيير .

١٠- أسهم التكاثر التكراري في آيات التبليغ في ربط أجزاء النص عن طريق تكرار فعل القول (قل) وقد مثلت هذه الكلمة الأمر الإلهي بتبليغ ما أنزل من الله سبحانه وتعالى للتنبيه على أن الرسول (ص) لا دخل له بالوحي فهو مخاطب لا متكلم، حاك ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه؛ إذ أعيد فعل (القول) لتأكيد التبليغ وقد أسهم التكرار في سبك العبارات في داخل الوحدة النصية، بربط اجزائها، فكان فعل القول مركزاً أساساً في البنية الخطابية، وهو من التكرار المباشر الكلي التام بأعادة العنصر المعجمي نفسه من دون تغيير فأفاد تأكيد العنصر المكرر وترسيخه في ذهن المتلقي، وتعددت صور التكرار في الآيات المباركة مما أسهم في إثراء النص ولم يكن مجرد محسن لفظي فحسب، بل وسيلة لتحقيق شبكة موحدة تدعم الغرض المتصل بالنص.

١١- رسمت الألفاظ المتقابلة صورة ذهنية تدفع بعقل المتلقي إلى الموازنة بين الصورتين، ولم تكن علاقة التقابل بين التركيبين المتقابلين في آيات التبليغ علاقة تضاد تامة.

١٢- أسهمت المصاحبة (بين الصفة والموصوف) في سبك نصوص آيات التبليغ، فأسهمت في ترابطها وبينت الدلالة الدقيقة للاستعمال القرآني الكريم للألفاظ المتصاحبة؛ إذ إن الموصوف (البلاغ) اقترن بصفة (المبين) بعينها ولا يمكن أن تنوب عنها غيرها نظراً لقتضيات السياق التي تستدعي أن يوصف البلاغ بالمبين، وعليه فمتى ما ذكر (البلاغ) يتوقع المتلقي أو السامع صفته التي تصاحبه (المبين)؛ فصاراً كالشيء الواحد.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المطبوعات :

- الإحالة في نحو النص، دأحمد عفيفي (د. ط)، (د. ت) .

- أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، كلماير وآخرون، ترجمة وتعليق، حسن سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة مصر، ط ١، ٢٠٠٩ م.

- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، د. محمد الشاوش، ط ١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١ م.

- الأصول في النحو ،ابو بكر محمد بن السري بن السهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)تحقيق عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ،لبنان ،بيروت .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي، المكتبة الشاملة ،
<http://www.makaremshirazi.org/books/arabic.htm>
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ،المكتبة الشاملة ،
مصدر الكتاب : موقع التفاسير <http://www.altafsir.com>
- الإيضاح في علوم البلاغة ،محمد عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)،تحقيق ،محمد عبد المنعم خفاجي ،ط٣، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ،١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ،جميل عبد المجيد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ١٩٩٨م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص ،د صلاح فضل ،عالم المعرفة ،الكويت ،١٤١٣هـ - ١٩٩٨م .
- بناء الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،٢٠٠٣م .
- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ،المنصف عاشور (د.ط) ،منشورات كلية الاداب ،منوية ،جامعة تونس ١٩٩١م .
- التبيان في تفسير القرآن ،ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ،تحقيق وتصحيح ،أحمد حبيب قصير العاملي ،موقع الجامعة الاسلامية ،المكتبة الشاملة .
- التحرير والتنوير ،ابن عاشور ،مصدر الكتاب : موقع التفاسير ،المكتبة الشاملة ،
<http://www.altafsir.com>
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، موقع التفاسير،المكتبة الشاملة،
<http://www.altafsir.com>
- تفسير الميزان،محمد حسين الطباطبائي(١٤٠٢هـ) ،مطبعة اسماعيليان،قم ،
<http://www.al-kawthar.com/maktaba/list2.htm>
- تهذيب اللغة ،محمد بن أحمد بن طلحة الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)،تحقيق محمد عوض مرعب ،ط١، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،٢٠٠١م
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري،(ت ٣١٠هـ) ،تحقيق ، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ،سعيد حسن بحيري ،ط١،مكتبة الاداب القاهرة
٢٠٠٥م
- شرح المفصل للزخشي ، يعيش بن يعيش الأسدي ،(٥٦٤٣هـ)، تقلد إميل بديع يعقوب ،ط١،دار
الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)تحقيق أحمد عبد
الغفور عطار ،ط٤، دار العلم للملايين ،بيروت ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،د سعيد حسن بحيري ،مكتبة لبنان ناشرون ،ط١ ،١٩٩٧م .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي
،ط١،دار قباء للطباعة ، القاهرة ،١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م .
- في اللسانيات ونحو النص ،إبراهيم محمد خليل ،ط٣،دار المسيرة عمان ،الأردن ،٢٠١٥م .
- كتاب سيبويه ،أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ،(ت١٨٠هـ) ،تحقيق عبد السلام محمد هارون
،ط٣،مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م .
- الكشاف ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزخشي جار الله ،مصدر الكتاب : موقع
التفاسير،المكتبة الشاملة <http://www.altafsir.com>
- لسان العرب:محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت،ط١
- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب،محمد خطابي ،ط١،المركز الثقافي العربي ، بيروت ،١٩٩١
- لسانيات النص عرض تأسيسي ،كيرستن آدمستيك ،ترجمة د.سعيد حسن بحيري ،ط١،مكتبة زهراء
الشرق ٢٠٠٩م .
- مباحث في علوم القرآن ،د.صبحي الصالح ،ط٨،دار العلم للملايين ،بيروت ،(د.ت) .
- مجمع البيان، امين الاسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي، المجمع العالمي لأهل البيت، المكتبة
الشاملة ،
- http://www.ahl-ul-bayt.org/Final_lib/index_arabic.htm
- المحرر الوجيز ، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي ،مصدر الكتاب :
موقع التفاسير ، <http://www.altafsir.com>
- مدخل إلى علم اللغة ،محمود فهمي حجازي ،دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة ،(د.ت) .
- مفردات ألفاظ القرآن،الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) ،تحقيق ،صفوان عدنان داوودي،ط١،قم
،١٤٢٦هـ -٢٠٠٠م .

- معاني القرآن : ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (ت ٢١٥هـ) ،تحقيق هدى محمد قراعة ،ط١،مكتبة الخانجي القاهرة ،١٤١١هـ- ١٩٩٠م .
- معاني النحو ،د، فاضل السامرائي ،ط٢،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،الأردن ،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م .
- المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته ،قسم القرآن بمجمع البحوث الاسلامية ،بارشاد واشراف ،محمد واعظ زادة الخراساني ،مشهد ،مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ،ط١، ١٤٢٣هـ
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،محمد فؤاد عبد الباقي ،ط٢،قم ١٣٨٣هـ
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ،عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تحقيق ،محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط١ ، مطبعة شريفة ،طهران إيران ،١٣٨٤هـ .
- مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ،مصدر الكتاب : موقع التفاسير <http://www.altafsir.com>
- مقالات في اللغة والأدب، د . تمام حسان ،ط١،عالم الكتب،القاهرة ،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ،د. حسام أحمد فرج ،ط١،مكتبة الآداب ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م .
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ،أحمد عفيفي ،ط١،مكتبة زهراء الشرق القاهرة ،٢٠٠١م .
- نحو النص نقد النظرية وبناء اخرى ،د. عمر أبو خرمة (د. ط) ،الأردن ،عالم الكتب الحديث ،٢٠٠٤م .
- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ،الأزهر الزناد ،ط١،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،١٩٩٣م .
- النص والخطاب والاجراء ،روبرت ديوجراند،ترجمة تمام حسان ،ط١، عالم الكتب ،القاهرة ،١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ،ترجمة القادر قنيني ،أفريقيا الشرق ،٢٠٠٠م .
- ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية :
- السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الانعام ،رسالة ماجستير ،أحمد حسين حيال ،كلية الآداب الجامعة المستنصرية ٢٠١١م
- رابعاً: البحوث المنشورة :

- ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت ،سامح الرواشدة ،الجامعة الاردنية ،بحث ،مجلة دراسات
٣ع،٣٠، مجلد ٣٠، ٢٠٠٣
- الدراسات الاحصائية للاسلوب ،بحث في المفهوم والاجراء ، دسعد مصلوح ،مجلة عالم الفكر ،وزارة
الاعلام الكويت م/٢٠، ٣/ع
- العناصر المرجعية الضميرية في سورة الكهف دراسة نصية تطبيقية : عبد المهدي الجراح واخرون ، بحث
مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجامعة الأردنية مجلد ٣٥، عدد ٣، ٢٠٠٨